مجلة الرائد

العدد : ٢١٩ الموافق في محرم ١٤٢١ هجري ٥ / ٢٠٠٠ ميلادي

| عنوان المقال : بابا الفاتيكان في الأردن وفلسطين | بقلم : عبد الله هارون |
|---|---|

معروف أن زيارات " بابا روما " التي تمت حتى الآن كان يقوم من خلالها بنشاط سياسي في إطار السياسة الغربية والكنيسة الكاثوليكية - بطبيعة الحال - وقد بدأها بزيادة بلده « بولندا » والعالم أجمع يعلم ماذا حدث بعد هذه الزيارة ؟! ، كما أنه يعتبر أحد العقول التي ساهمت في تغيير خريطة العالم وإنهاء ما عرف بـ « الحرب الباردة » ، وبعد زيادة الصراعات العرقية والدينية في مناطق مختلفة من العالم ، ولما كانت المنطقة العربية هي موطن نشأة « اليهودية والمسيحية والإسلام » ، تطلع " بابا روما " والساسة الغربيون إلى إحداث تعايش بين المسلمين واليهود والنصارى بالصورة التي يراها الغرب في هذه المنطقة ، وذلك لإتمام تنفيذ المخططات الغربية فيها وربما خارجها .

نعم ، يرى كثير من المفكرين والمحللين السياسيين أن زيارة " بابا روما " لمصر والأردن وفلسطين هي زيارة تاريخية ، وسوف تسهم في رسم خريطة جديدة للمنطقة ، وإن كان الزعم بأنها زيادة دينية ، إلا أنها جاءت في ظروف عالمية وإقليمية بالغة الدقة والحساسية ، فالنزاع في أوروبا والبلقان بين المسلمين وغيرهم لم يحسم بعد ، وكذلك شعب الشيشان يباد من فوق الأرض ، والنزاع بين « الكيان الصهيوني » والعرب ما زال قائماً ، فهناك قصف مستمر في جنوب لبنان وما سمي « مسيرة السلام » ربما وصلت إلى طريق مسدود ، وهناك صدام بين الأقباط والمسلمين في مصر ، وليس صدفة أن تأتي هذه الزيارة و« الكيان الصهيوني » يسلم ٦,١% من أراضي الضفة للسلطة الفلسطينية ، ومحاولات إحياء استمرار الحوار بين ممثلين عن « الكيان الصهيوني » و« السلطة الفلسطينية » قائمة في واشنطن ، ومحاولات إعادة الاتصال بين السوريين واليهود قائمة على قدم وساق ، ومحاولات استرضاء الأقباط في مصر مستمرة .

ولعل ما تمت الإشارة إليه باختصار يلفت نظر ذوي البصيرة إلى الأهداف الحقيقية لزيارة " بابا روما " للأردن وفلسطين ، ومصر قبل ذلك ، وخاصة أنه رأس الكنيسة الكاثوليكية ، وعدد النصارى الكاثوليك في هذه المناطق قليل جداً ، فيقدر عددهم في مصر - التي تضم أكبر عدد من النصارى في المنطقة - يقدر بـ ( ٣٠٠ ٠٠٠ ) ثلاثمائة ألف نسمة ، وخاصة إذا تذكرنا أن زيارة " بابا روما " للسودان قبل سنوات صبّتْ في خانة المنشقين في جنوب السودان بوقوفه إلى جانبهم وتبنيه لتطلعاتهم .

**مظاهر ومشاعر أحاطت بالزيارة من جانب العرب :**

(١) أجمعت وسائل الإعلام العالمية والعربية على أن زيارة " بابا روما " للأردن وفلسطين أحيطت بحفاوة بالغة ، وكان الاستقبال رسمياً وشعبياً من قبل رجال السياسة ، والمرجعيات والرموز التي تمثل أتباع

الدين الإسلامي ، وكذلك المرجعيات والرموز المسيحية .

(٢) اشتملت الكلمات التي ألقاها المسؤولون العرب على عبارات الود والترحيب والإشادة بمواقف رأس الكنيسة الكاثوليكية ، والفاتيكان ، ولقد تجاوزت بعض كلمات رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية الحقيقة حيث وصف مواقف « الفاتيكان » بأنها « عادلة » وأنها « دعمت حقوق الفلسطينيين في الوطن والسيادة والاستقلال » ، وأن الفاتيكان « وقف إلى جانب الحقوق الفلسطينية منذ البداية » .

(٣) وجاءت تصريحات " بابا روما " قبل الزيارة وأثناءها فيما يتعلق بالمسلمين - وهم أكثرية سكان المنطقة - جاءت عامة وفضفاضة مثل قوله : « إن هذه المنطقة من العالم تتطلع إلى العدالة واحترام حقوق الإنسان وحقوق الشعوب والدول ، ويجب أن تجد لكل مشاكلها حلاً عادلاً يحفظ حقوق جميع الأطراف ، كي يكون الحل العادل ضمانة للسلام » ، وقوله : « لا بد من متابعة مسيرة السلام مهما كانت المصاعب والعقبات ومهما طال الزمن » .

(٤) أشاد " بابا روما " بالأردن الذي حافظ على الحرية الدينية وهي حق من الحقوق الأساسية للإنسان ، حينما يتوفر يشعر جميع المواطنين بأنهم متساوون ، ويستطيع كل منهم أن يساهم في مجتمع يعتبره الجميع بيتاً لهم .

(٥) يمكن تلخيص ما نجمت عنه الزيارة على الجانب العربي فيما يأتي :

١- ظهر من كلمات المسؤولين العرب الضعف وعدم استبصار الواقع ، حيث كانت المطالب المحدودة جداً بمثابة آمال وتطلعات ، فانصبت هذه المطالب على حث الضيف الكبير على القيام بدور في إعطاء الأمل للفلسطينيين التواقين للعدل والاستقرار ، وللبنانيين الأمل في غدٍ أفضل ، وللسوريين الأمل بانتهاء فصل الحروب الحزين ، وللعراقيين الأمل ببزوغ فجر جديد ، ومع ذلك كان التأكيد بأن « للإسرائيليين الأمل بالأمن والقبول » .

٢- وكل الذي صدر عن " بابا روما " في أفضل تصريحاته في مخيم « الدهيشة » للاجئين الفلسطينيين قوله : « أملي أن تخدم زيارتي لمخيم الدهيشة في تذكير المجتمع الدولي بضرورة الحاجة لقرار محدد لتحسين أوضاع المجتمع الفلسطيني » ، ولم يصدر عنه ما طال سماع اللاجئين الفلسطينيين إليه من شخصية مهمة مثله وهو : « تأكيد حقهم الشرعي في العودة إلى بيوتهم التي طردوا منها بعد ٥١ عاما من التشريد والمعاناة » ، حتى أنه نقل عن عجوز من سكان المخيم قولها : « تأملنا بأن يقول البابا بصوت عالٍ أن من حقنا أن نعود إلى وطننا ، ولكن يبدو أننا بحاجة إلى **جرأة أكبر !!** » .

**مظاهر ومشاعر أحاطت بالزيارة من جانب اليهود والنصارى :**

(١) بالرغم من أن موقف الزائر الكبير لبيت لحم ومخيم « الدهيشة » لم يكن فيه أي وعد للفلسطينيين بأي

شيء ، إلا أن اليهود لم يخفوا امتعاضهم من زيارة المسجد الأقصى ، ونقلت مصادر « صهيونية » عن مسؤولين أن الفاتيكان وعد بألا يحرج " البابا " إسرائيل أثناء زيارته ، وأضافت أن مرافقيه وعدوا بناءً على طلب المسؤولين بألا يساعد " البابا " السلطة الفلسطينية بإظهار علامات السيادة خلال زيارته للمسجد الأقصى .

(٢) دعت مطرانية الروم الكاثوليك في الأردن إلى عدم تسييس الزيارة ، والتركيز عليها بوصفها تعبيراً من " البابا " عن رسالة العدل والسلام للمنطقة من خلال الحج والصلاة في الأماكن المقدسة ، ولفتت النظر إلى أن الأردن هو « وطن التعايش والمحبة وكرامة الإنسان » .

(٣) رَحّلت سلطات الاحتلال الصهيوني تسعة شبان فلسطينيين مقْدِسيين - يعيشون في القدس - بينهم اثنان من مرافقي مسؤول ملف القدس ، رحلتهم إلى مدينة إيلات بسبب رفعهم علمي فلسطين والفاتيكان في القدس يوم ٢٠٠٠/٣/٢٠م .

(٤) انتصر منطق القوة وأثبتت سلطة « الكيان الصهيوني » أنها المسيطرة على الأرض ، تمنع من تريد من الدخول إلى أي مكان ، حيث كانت مراسم الزيارة في القدس كما تريد هي ولم تسمح للفلسطينيين بأي فرصة لاستغلال الزيارة لتحقيق بعض المكاسب ولو شكلية .

(٥) يمكن تلخيص ما نجمت عنه الزيارة على الجانب اليهودي والمسيحي فيما يأتي :

١- أضافت زيارة " بابا روما " قوة للنصارى في المنطقة ، وأعطت فكرة الحوار المسيحي الإسلامي دفعة كبيرة الله تعالى وحده يعلم نتائجها !! .

٢- كلمات " بابا روما " قبل الزيارة وأثناء زيارته لنصب « المحرقة » أظهرت اعتذار الكنيسة عما حدث لليهود ، وأعطى وعوداً منها قوله : « فلنبن مستقبلاً جديداً خالياً من مشاعر العداء لليهود بين المسيحيين ، أو مشاعر معادية للمسيحيين بين اليهود » ، ثم قال : « إن زيارتي للأراضي المقدسة هي وعد بأن الكنيسة الكاثوليكية ستفعل ما في وسعها من أجل تحقيق المصلحة والسلام » .

٣- كلمات المسؤولين اليهود أكدت على حق السيادة وعكست تطلعات اليهود ليس في فلسطين المحتلة وحدها وإنما في المنطقة بكاملها ، ويكفي هنا أن أذكر بقول " عزرا وايزمان " رئيس الكيان الصهيوني : « حضرتكم يا قداسة البابا تركتم أثركم في التاريخ » ، وأضاف : « نلتقي في القدس المدينة المقدسة والعاصمة الأبدية لإسرائيل والمركز الديني المهم للغاية بالنسبة لليهودية والمسيحية والإسلام » ، ومجرد لقاء الزائر الكبير مع وايزمان في القدس - مقر رؤساء إسرائيل كما يزعم اليهود - اعتبره اليهود بمثابة اعتراف بالسيادة الإسرائيلية عليها .

فهل من تفكر وتدبر أيها المسلمون حتى نستبصر المستقبل ونعد له العدة التي أمرنا الله تعالى بإعدادها ؟! .